وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات القرآن في آيات الإصلاح وأثره في التعايش السلمي (دراسة موضوعية)

اسم الباحث/ـة

د/ نورة بنت سالم المري

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله تعالى قد امتن على هذه الأمة بإنزال هذا الكتاب العظيم، وجعله مرجعها، وعصمتها، ومصدر هدايتها، وسبب فلاحها في الدنيا والآخرة.

فقد عني المسلمون بهذا الكتاب العزيز على نحوٍ لم تعرفه الإنسانية من قبل لأمة مع كتابها، فتواردوا على حفظه، وتعلم أحكامه، والاهتداء بهداياته، وتعليمها جيلاً بعد جيل.

فجاء الإسلام بالإصلاح في كل مناحي الحياة وأحوال البشر، واستفاضت النصوص في كتاب الله تعالى للحديث عن الإصلاح وحكمه وأهميته وأثر ذلك في التعايش السلمي والأمني للمجتمع وكافة أفراده.

وقد جاء هذا البحث لإبراز هدايات القرآن الكريم في إصلاح النفس وبيت الأسرة وإصلاح المسلمين فيما بينهم وبين غيرهم، وأثر ذلك في التعايش السلمي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء:٩] وأن هذه الأمة الإسلامية صارت بهذه الهدايات أفضل الأمم.قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

أولاً: أهداف البحث:

١- معرفة معنى الإصلاح وأهميته في القرآن الكريم.

٢- بيان عناية القرآن بإصلاح النفس البشرية.

٣- بيان عناية القرآن الكريم بإصلاح الأسرة -نواة المجتمع-.

٤- بيان منهج القرآن الكريم في الإصلاح بين المسلمين، وبين غيرهم.

٥- دعوة القرآن الكريم للتعايش السلمي؛ من خلال الإصلاح في كافة أحوال البشر.

ثانياً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

- الرغبة في إلقاء الضوء على موضوع الإصلاح وفق منهج القرآن الكريم.
- حاجة الأمة الإسلامية إلى إصلاح الأفراد والمجتمع، وخاصة في هذا العصر.
- إبراز هدايات القرآن الكريم بالإصلاح، وأثره في التعايش السلمي.

رابعاً: الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات والكتابات أشارت إلى الموضوع من جوانب متفرقة وأخرى مختلفة، ولكن لم يقع بين يدي بحث بدراسة مستقلة بهذا العنوان وذلك من خلال إبراز هدايات القرآن الكريم في مجال الإصلاح، وسأطلع على هذه الأبحاث وستكون عمدة بإذن الله فيما سأكتب، ومن تلك الدراسات:

١- **الإصلاح بين المسلمين في القرآن الكريم** دراسة موضوعية لفضيلة الدكتور محمد عبد العزيز العواجي.

٢- **تحقيق الأمنية في حديث القرآن عن إصلاح الزوجية** لفضيلة الدكتور محمد عبد العزيز العواجي.

٣- **الإصلاح الاجتماعي في تفسير التحرير والتنوير**، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت في جامعة آل البيت، تتحدث عن جهود ابن عاشور في الإصلاح الاجتماعي، من خلال تفسيره التحرير والتنوير وخاصة في المجتمع التونسي.

٤- **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز**، لعبد الفتاح حسن أبو علية، تضمن دراسة تاريخية شاملة لأحوال المجتمع السعودي، من حيث عوامل الوحدة والتفكك، ومشكلات البدو والحضر في مجتمعات الحجاز ونجد والإحساء.

٥- **بحوث مؤتمر الإصلاح الاجتماعي**، المنعقد في جمهورية مصر، وهو عبارة عن مؤتمر استمرّ ثلاثة أيام، خَصص يوماً للحديث عن الريف المصري، ويوماً للحديث عن الشخصيات القومية، ويوماً للحديث عن الأسرة.

٦- **مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم**-دراسة موضوعية، لفضيلة الدكتور محمد عبد العزيز العواجي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على **مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي:**

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: ويشتمل على تعريف الإصلاح وأهميته.

أولاً: تعريف الصلح لغة واصطلاحاً.

ثانياً: حكم الصلح وأهميته.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الإصلاح للتعايش السلمي، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح النفس وأثره في التعايش السلمي.

المطلب الثاني: إصلاح بيت الأسرة وأثره في التعايش السلمي.

المطلب الثالث: إصلاح المجتمع المسلم وأثره في التعايش السلمي.

المطلب الرابع: إصلاح المجتمع المسلم مع غيره وأثره في التعايش السلمي.

المبحث الثاني: ثمرات الإصلاح وأثره في التعايش السلمي.

المطلب الأول: صفات المصلحين في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ثمرات الإصلاح وأثره في التعايش السلمي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث، والتوصيات التي سأتوصل إليها.

فهرس (الموضوعات-المراجع)

منهجية البحث:

المنهج الذي أتبعته هو استقرائي تحليلي للآيات المتعلقة بموضوع البحث، ثم تفسيرها تفسيراً موضوعياً يتناسب مع مباحث ومطالب البحث، وتتضمن

إجراءات البحث ما يلي:

- عزوت الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في استنباط الأحوال والاحكام.
- عزوت الأحاديث إلى مصادرها الأصلية.
- عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية، قدر المستطاع.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

التمهيد: ويشتمل على تعريف الاصلاح وأهميته

أولاً: تعريف الاصلاح لغة واصطلاحاً:

الإصلاح لغة: الصَّلاحُ: ضِدُّ الفَسادِ، كالصُّلوحِ والصُّلْحُ، بالضم: السِّلْمُ، ويُؤَنَّثُ، واسمُ جماعةٍ، وبالكسر: نَهْرٌ بِمَيْسانَ(١).

والإصلاح: نقيض الإفساد، والمصلحة: الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح.

والاستصلاح: نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت(٢).صلاحاً وصلوحاً: زال عنه الفساد، والشيء كان نافعاً أو مناسباً، يقال: هذا الشيء يصلح لك، و(الصلاح) الاستقامة والسلامة من العيب، واستصلح الشيء تهيأ للصلاح والشيء أصلحه وطلب إصلاحه وعده صالحاً.

(الاصطلاح) مصدر، اصطلح واتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته، و(الصالح) المستقيم المؤدي لواجباته(٣).

الإصلاح اصطلاحاً: على الرغم من كثرة التعريفات المعاصرة للإصلاح **سأكتفي بذكر تعريفين فقط.**

الأول: هو الفعل الذي يكون معه إصلاحُ ذات البين، -سواء كان ذلك الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين- قبلَ وقوع الاختلاف أو بعد وقوعه، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله للإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به(٤).

---

(١) القاموس المحيط، الفِيرُوزآبادي (ص٢٢٩)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٢/٥١٧)

(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين (١/٥٢٠)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢/٢٠٢-٣/ ٤٠٤)

والثاني: تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم تلحقه زوائد ومحدثات (١).

فالإصلاح قوام بقاء المجتمع وصلاحه من خلال الوقوف على المنهج الذي أراده الله تعالى له.

ثانياً: حكم الصلح وأهميته:

١- **الإصلاح فرض على الكفاية:** "الإصلاح فرض على الكفاية إذا قام به أحدهم سقط عن الباقين، وإن لم يفعلوا أثم الكُل"(٢)

٢- **ويتعين وجوب الإصلاح على القادر عليه:**إذا علم إنسان من نفسه أنه قادر على أن يقوم بإحقاق الحق والحسبة؛ ولم يكن من يصلح ولا يقوم مقامه تعين عليه ووجب أن يقوم هو بالإصلاح، وأن يسعى لذلك ويطلبه؛ كما طلب ذلك يوسف عليه السلام من العزيز قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [سورة يوسف:٥٥].

٣- **وللقاضي السعي للإصلاح بين الناس وأن يشير إليه قبل إصدار الحكم:**قال الحافظ ابن حجر: "يجوز أن يشير الإمام بالصلح ولو اتجه الحق لأحد الخصمين، وهذا هو قول الجمهور"(٣).

أهمية الإصلاح:

إن ديننا الإسلام دين عظيم، دين كامل، شامل لجميع متطلبات الحياة، فهو دين يتطلع للصلح بين الناس، وينادي إليه، ويحبّبه لأتباعه، ويحثهم عليه، **ويتضح هذا الحرص وهذه الرغبة من خلال الأمور التالية:**

أولاً: إصلاح ذات البين من شرائع الأنبياء السابقين.

---

(١) الخطاب الإصلاحي في المغرب، عبد الإله بلقزيز (ص١٥)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/٢٧٠)

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٥/٣٦٢)

قال الله تعالى عن شعيب عليه السلام ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ [سورة هود:٢٨].

ثانياً: اهتمام الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على الأخوة بين المسلمين:

ويتضح ذلك في عدد من الأمور:

١. أمر الله تعالى الناس بالتعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة:٢].

٢. امتنَّ الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بنعمة الأخوة، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

٣. شرع الله سبحانه وتعالى أموراً تحافظ على سلامة الأخوة بين المؤمنين ونهى عن أمور تكون سببا في فساد العلاقة الأخوية بين أبناء المجتمع المسلم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:١٠].

ثالثاً: شرع الله تعالى أحكام تبين أهمية الإصلاح بين المسلمين:

يمكن أن نلخص اهتمام الإسلام بالإصلاح بين المسلمين من خلال النقاط التالية:

١. جواز الأخذ من أموال الصدقات لمن تحمل حمالة من أجل الإصلاح.

٢. أباح الله التناجي من أجل الإصلاح بين الناس.

٣. أجاز الله سبحانه وتعالى الكذب للإصلاح بين أهل الخصومة.

٤. جواز تأخير الصلاة من أجل الإصلاح: فإن النبي صلى الله عليه وسلم تأخر عن صلاة العشاء ذات يوم فأقام الصحابة الصلاة وصلى بهم أبوبكر إلى أن حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأخر أبو بكر وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا التأخر كان بسبب أن رسول الله كان يصلح بين ناسٍ من بني عوف كان بينهم شيء كما روي ذلك عن سهل بن سعد رضي

الله عنه[1] فهذا الإصلاح من رسول الله حدث من أجل أن يحافظ على كيان الأمة وعلى وحدتها. [2]

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الإصلاح للتعايش السلمي، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح النفس وأثره في التعايش السلمي:

والإصلاح هنا يراد به أن يكون الإنسان صالحاً في ذاته، قد بدأ بنفسه فطهرها وهذبها من القبائح والرذائل العقدية كالشرك والشك والنفاق، أو الأخلاقية كالجبن والبخل والحقد والحسد والظلم والكذب، وتجميلها بالفضائل ومحاسن الصفات التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة، وأقامها على الصراط أصبحت نفساً طيبة صالحة.

والقرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل:٨٩] فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر.

---

(١) أخرج هذه الحادثة كاملة البخاري في كتاب الصلح باب ما جاء في الإصلاح بين الناس (٢/٩٥٧/ح٢٥٤٤)، ومسلم في كتاب الصلاة باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدته بالتقديم: (١/٣١٦/ح٤٢١).

(٢) للاستزادة ينظر: بحث مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم- دراسة موضوعية، العواجي (ص٣٨) وما بعدها.

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي، إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه . (١)

وبهذا أمر الله سبحانه وحث عليه في كتابه الكريم وجعل فلاح النفس وصلاحها بذلك، قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [سورة الأعلى:١٤] أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح (٢).

والالتزام بأحكام الدين في الظاهر والباطن، في العلم والعمل، في العبادات والمعاملات وسائر مجالات الحياة سبب لإصلاح الأفراد والمجتمعات،

ومن وسائل إصلاح النفس:

-استشعار عظمة الله ومراقبته: فمن كانت نفسه مقبلة على الله معظمة له مراقبة له في السر والعلن، فإن ذلك من أصل توحيد الله عز وجل، فما أرسل الرسل ولا أنزلت الكتب، ولا خلقت الجنة والنار إلا من أجل توحيد الله وتعظيمه، فتعظيم الله من أقوى الأدوية لصلاح النفس، وهو أصل لما بعده من وسائل إصلاحها، وعلى قدر ضعف هذا التعظيم تضعف النفس وتمرض وقد تهلك إذا لم يتداركها صاحبها قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [سورة نوح:١٣]، أي: لا ترون لله عظمة، فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم(٣).

-قراءة القرآن وتدبره.

- تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه: بالحفاظ على الطاعات واجتناب المحرمات والاستجابة لأوامر الله، فذلك هو سبب اطمئنان القلوب وسكينتها

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٨/١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السَّعْدي (ص٩٢٦)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢٠٨/٢٢)

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد:٢٨] فالمتقي يجعل بينه وبين عذاب الله حاجزا وحجابا، وقد أفاض القرآن الكريم بذكر التقوى فأمرنا الله أن نجعلها زادا، ولباسا، وأساس كل عمل لنا، وجعل القرآن هدى للمتقين، والعاقبة لهم في الدنيا والآخرة، ولهم الفوقية فوق عباده يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [سورة الأعراف:٢٦].

– الأمر بالقراءة وطلب العلم فمن حكمة الله أنه لما أراد أن يغير ما بنفوس العرب من فساد، عاجلهم بالأمر بالقراءة التي هي سبيل العلم وتحرير الوعي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١] ولا يوجد أنفع منهما في إصلاح النفوس وتعديل الطباع وترقية المشاعر وتنقيح الأفكار وتنميتها.

–التحلي بالفضائل وترك الرذائل من الأخلاق أي تربية النفس على الفضائل والمحامد كالعفة والحياء وطهارة القلب وحب المعروف والصدق والأمانة والصبر، وتزكيتها من المفاسد والأخلاق الذميمة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس:٩-١٠] والمرونة والتحلي بالحلم في مواجهة الواقع فقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة المرغبة في حسن الخلق برفع درجة أصحابها وتثقيل موازينهم وقرب منازلهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم يوم القيامة قال ﷺ لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلم والأناة"(١)، فالأناة والمرونة والحلم تساعد الإنسان على معرفة عواقب الأمور التي تشتبه في بداياتها، كما أنها علامة التوازن النفسي والانضباط الانفعالي.

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه
وحفظه وتبليغه من لم يبلغه: (١/٤٨/ح١٨).

-محاسبة النفس ومجاهدتها عن اتباع الهوى: حذرنا سبحانه وتعالى في مواضع عدة من كتابه من اتباع هوى النفس وما تأمر به إذا خالفت الشرع وأنها داعية للطغيان وتجاوز الحدود فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات:٣٧-٣٩]، وأمرنا بمخالفتها وتأديبها ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات:٤٠-٤١]، فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو العبد إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة والى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء(١)، ولو لم يكن لمخالفة الهوى إلا هذه الفائدة لكفت، وهو أنه يقود إلى الجنة كما في الآية السابقة "وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد"(٢).

-تجديد التوبة: التوبة هي ثمرة المحاسبة والفائدة المرجوة منها، فبعد أن تبين له ماله وما عليه فلا يقف عند المحاسبة بل ليشمر إلى التوبة وهي ترك الذنب والندم على فعله والعزيمة على عدم العودة إليه.

"ومنزلة التّوبة أوّل المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد، ولا يزال فيه إلى الممات. وإن ارتحل إلى منزلٍ آخر ارتحل به، ونزل به. فالتّوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجتُه إليها في النِّهاية ضروريّةٌ، كما حاجتُه إليها في البداية كذلك"(٣)، وقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية (١/١٢٦)

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص ٦٢٦)

(٣) مدارج السالكين، ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (١/ ٢٧٤)

تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [سورة النور:٣١] والتوبة محببة إلى الله وأهلها كذلك يحبهم الله قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

–الصحبة الصالحة إن من أهم الوسائل بعد توفيق الله عز وجل لإصلاح النفس واستقامتها الصحبة الصالحة، كما أن من أهم أسباب زيغه وضلاله الصحبة السيئة، فكم من صاحب سحب صاحبه للهداية والرشد، وكم من صاحب سحب صاحبه للغواية والضلال فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يدعو صاحبه أبا بكر للإسلام فيكون أول من آمن به من الرجال، وتحمل أعباء الدعوة معه، ورافقه في هجرته، وسطرت هذه الحادثة في القرآن ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [سورة التوبة:٤٠] وقد سجل القرآن الكريم لنا من عض يدا الندم من شدة حسرته لمطاوعته رفقة السوء قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٩] قال ابن الجوزي: "ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق؛ فإن لم يتشبه بهم، ولم يسرق منهم، فتر عن عمله"(١).

– الدعاء والعبد ضعيف لا يملك حولا ولا قوة إلا بربه، نفسه تتقلب عليه، فمن أقوى الأسباب على إصلاح النفس وتهذيبها الانكسار بين يدي الله سبحانه، بأن يعين العبد على نفسه وعلى تهذيبه قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٦]. فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها ففضل من الله من به عليها، لم يكن منها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) صيد الخاطر، ابن الجَوْزي (ص ٤٢٥)

وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور:٢١]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات:٧] فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها، ولكن الله هو الذي من بهما، فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [سورة الحجرات:٨] عليم بمن يصلح لهذا الفضل ويزكو عليه ويثمر عنده، حكيم فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه بوضعه في غير موضعه"(١). وعلى الداعي أن يحسن الظن بربه ويلح في طلبه، ويعزم في مسألته، ويتحرى أوقات الإجابة، وبالجملة يأتي بشروط الدعاء وآدابه، فإن اللطيف الرحمن الرحيم لا يخيب من صدق معه.

-الاطلاع على سير الأنبياء والصالحين: والأمم السابقين والاستئناس بأخبارهم والاعتبار بعواقبهم، ففيها السَّلْوةُ للأحزان والجَلْوَةُ للأشجان، وهي ترقق المصائب؛ فحينما يقف المبتلى على نماذج أشد من بليّته يتسع أفقه ويصلح نفسه بالاتعاظ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة يوسف:١١١]

المطلب الثاني: إصلاح بيت الأسرة وأثره في التعايش السلمي:

أولى الإسلام اهتماماً بالغاً بتربية النشء تربية دينية صحيحة، وأكد في الكثير من الآيات والأحاديث النبوية على أهمية دور الأسرة والبيت في إصلاح المجتمع، فإذا استقام البيت صلح المجتمع بأكمله، وإذ غاب أحد أعمدته وأركانه خرجت منه المشكلات لتصنع ظواهر اجتماعية سلبية تنتهي بكوارث مدمرة على الفرد والمجتمع. فإنَّ الأسرة المسلمة هي نواة المجتمع الإسلامي، وأساس بنيانه، وقد حرص الإسلام على إرساء وتثبيت الأسرة، والمحافَظة على تماسُكها واستقرارها، والتحذير من أسباب تفكُّكِها وعوامل تصدُّعِها.

(١) مدارج السالكين، ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (١/ ٣٤٥)

فإن من أهم مهمات إبليس إفساد الصلات الأسرية، ونقض العلاقات الزوجية، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال فيلتزمه" (١)، والتفريق بين الزوجين يعجب إبليس؛ لما يترتب عليه من مفاسد عظيمة؛ كانقطاع النسل، وسوء تربية الأطفال، وتشتت الأولاد وضياعهم، وقطيعة الرحم، وما في ذلك من التباغض والتشاحن وإثارة العداوات بين الناس، فيكون الفساد منذ نشوء الأسرة التي لم تلتزم بالقواعد التي تعمل على تكوّن الأسرة الصالحة، فهناك مهمة تقع على كاهل الأب، وهناك مهمة تقع على عاتق الأم والزوجة، وهناك مهمة تقع على عاتق الأولاد، وهناك دور مهم للأهل الذين يحيطون بالأسرة للحفاظ عليها من الوقوع في الفساد، وسأتحدث مختصرة عن دور كل شخص منهم في الحفاظ على صلاح الأسرة.

أولاً: استقامة الزوج والأب مدعاة لصلاح أهلهما وأسرتهما:

الأب هو بمثابة قائد الأسرة فبصلاحه تتأثر الأسرة فتصلح، ومن مقتضى صلاحه أن يأمر أهله بالعبادات التي تصلحهم، إذًا هو الدور الكبير الذي ينتظر الأب تجاه أهله لينال رضوان الله تعالى، وينجو هو وأهله من نار جهنم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ

(١) صحيح مسلم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا: (٤/ص٢١٦٧/ح٢٨١٣).

(٢) صحيح البخاري، باب الجمعة في القرى والمدن: (١/ ٣٠٤/ح٨٥٣).

وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [سورة لقمان:١٣-١٩].

ثانياً: دور الأمّ والزوجة في إصلاح الأسرة:

المرأة سواء كانت أمًّا أو زوجة لها دور مهم لإصلاح أسرتها؛ فهي تعمل على إصلاح النشء الصاعد مع زوجها، وإذا ما ابتليتْ بزوج فاسد فالمهمة تزداد صعوبة وضخامة، وفي هذه الحالة ما عليها إلا أن تشمر عن ساعديها جاهدة لتصلح ما تستطيع، والقرآن الكريم أشار إلى دور المرأة في إصلاح أسرتها فقدم للنساء نماذج لنساء ضربْنَ أمثلة رائعة في إصلاح أسرهنّ، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [سورة آل عمران:٣٥] والدرس البالغ الأهمية الذي لا بد أن تستفيد منه الزوجات والأمهات من هذه الآيات: الدعاء من الله تعالى أن ييسر لهنّ ذرية صالحة، وهذا يكون قبل الحمل وبعده، إذ الدعاء لا يختص بوقت دون آخر، وقد تعيش المرأة في بيئة فاسدة تتحرك لإصلاح ما يمكن إصلاحه، هذا ما سنراه في حديث القرآن عن امرأة من نساء العالمين قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ [سورة القصص:٩].

ثالثاً: الابن الصالح ودوره في إصلاح الأسرة:

الابن هو ثمرة الأبوين، فصلته بأبويه وثيقة، حتى أنه من عظم حقهما عليه قرن الله تعالى عبادته بطاعة الوالدين، ولكن على الرغم من هذه الصلة إلا أنه في حالة ابتعاد أحدهما أو كليهما عن شرع الله فلا بد من نصحه وإصلاحه بالأسلوب الذي يليق بمقامه، إذن هي رسالة الابن الإصلاحية تجاه أهله وهذا ما أفادته آيات عديدة من كتاب الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ [مريم:٤١-٥٠].

رابعاً: الأهل المحيطون بالأسرة ودورهم في الإصلاح:

الإصلاح عند حدوث الخلاف أن يكون الإصلاح من جهة الأقارب فإن تعذر الإصلاح بين الزوجين من نفسيهما فليكن الصلاح من جهة الأقارب، فهو أولى من أن يحتاج لأحد من خارج الأقارب قال تعالى:

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [سورة النساء:٣٥].

وهناك بعض الأسس والخطوات التي تحافظ على صلاح الأسرة:

١- **مراعاة العدل بين أفراد الأسرة** سواء في الواجبات أو في التكاليف، ويظهر ذلك في الآيات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨].

٢- **العفة وغض البصر**، ويظهر ذلك في الآيات: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [سورة النور:٣٠].

٣- **التشاور**، ويظهر ذلك في الآية: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [سورة البقرة:٢٣٣].

٤- **الابتعاد عن سوء الظن** وهذا مما يولد الشك الدائم بين أفراد الأسرة وخاصة الزوجين فلا يثق بعضهم ببعض وأي كلمة تخرج أو فعل يكون وسيلة للشيطان لإيقاع الخلاف بينهم كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات:١٢].

٥- **تقوى الله في المعاشرة الزوجية** قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٣].

إن إصلاح بيت الأسرة له أثره العظيم في التعايش السلمي لإنه ينبني على بيان خصائص الشريعة ومقاصدها، لإن المقاصد الشرعية مرتبطة ارتباطا قويا بنظام المجتمع الإسلامي(١).

المطلب الثالث: إصلاح المجتمع المسلم وأثره في التعايش السلمي (٢)

الإصلاح هو السبيل للرقيّ بالمجتمع المسلم، وهو العلاج الشافي لكل الأمراض

---

(١) مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم-دراسة موضوعيه، العواجي (ص٨٠) ومابعدعا

(٢) للاستزادة ينظر:الإصلاح بين المسلمين في القرآن الكريم ، العواجي

التي تعصف به؛ فلابد من ركائز ووسائل يستند عليها، كما أن طرقه ليست شيئا مبهما، وبما أنه يشمل كافة مناحي الحياة فقد تعددت أنواعه، وإذا ما سار الإنسان في طرق الإصلاح فإن هناك أمورا تنتظره.

فقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي بينت فضل الإصلاح بين المسلمين منها:

١. أن الله رتب الأجر العظيم على الإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:١١٤].

٢. حث الله عباده المؤمنين المتقين أن يصلحوا فيما بينهم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال:١].

٣. أمر الله تعالى بالعفو والصفح وحث عليه، قال تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة:١٠٩].

٤. حث الله على الإصلاح والسلام وعدم المخاصمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٠٨].

٥. بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإصلاح بين الناس أفضل من نوافل العبادات، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"(١).

(١) مسند أحمد بن حنبل: (٦/٤٤٤/٢٧٥٤٨).

٦. ولا شك أن التفرقة والخلاف والمشكلات وعدم الإصلاح بين المسلمين شر بين المسلمين، فإذا لم تدفع ببعض جهود بعضهم ظهر الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥١].

٧. أمر الله تعالى بعدم التفرق، والمشكلات، وعدم الإصلاح بين المسلمين يجلب الفرقة والتمزق، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

٨. أن الله تعالى رتب على تنازع المسلمين واختلافهم فشلهم وذهاب هيبتهم: فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٦].

وهل أخر المسلمين اليوم في هذه الأوقات، إلا تفرقهم والتعادي بينهم وخورهم، وتقاعدهم عن مصالحهم والقيام بشؤونهم، حتى صاروا عالة على غيرهم. ولما يحصل في الخصومات والمشادات من الأضرار العظيمة من سفك الدماء، وذهاب الحقوق، وتحشم العداوات والإساءة والإيذاء([1]).

فكل ما سبق من الأدلة دافع إلى الحرص على الصلح بين الناس، وحل المشاكل المتأزمة بينهم، فعلى كل مسلم أن يكون رجلاً مجاهداً حريصاً على أمته من التشتت والضياع، فيسعى بالصلح بين كل من تحصل بينه وبين أخيه شحناء إذا وجد نار الغضب تتأجج بالخلافات والمنازعات فيما بينهما، فليحاول التدخل بالصلح ليكون حكماً عدلاً مصلحاً بأقواله، وباذلاً في ذلك ما يستطيعه من جاهٍ أو فعلٍ أو مالٍ إذا تطلب الأمر ذلك، حتى يطفئ تلك النار الملتهبة، أو المشاكل المعقدة، ويحلَّ بدلها الصلح والسلام والوئام،

([1]) مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم-دراسة موضوعيه، العواجي (ص٧٩)

ولا يقول هذا لا يعنيني! فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أ خبر بأن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة قال: "اذهبوا بنا نصلح بينهم" (١).

وعلى كل مسلم أن يكون مشاركا فاعلا في هذه الحياة بنفع إخوانه، مسابقا في ميادين الإصلاح والعمل المثمر، مسارعا إلى ما يؤلف القلوب، ويرفع مستوى أمته، فيسموا بين الورى بحسن الثناء، ويسعد في آخرته عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة التوبة:١٢٠].

فكم علاقة بين إخوة في الله كادت أن تتمزق وكاد أن يقع القتال بسبب خلاف سهل، فإذا بهذا المصلح بكلمة طيبة، ونصيحة غالية، ومال مبذول، يعيد المياه إلى مجاريها، والحياة إلى طبيعتها.

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى جهد كل مسلم آمن بالله ربا؛ لكي يتمم الله هذا الأمر، وإذا حصل خلاف أو خصومة بين أفراد المجتمع –وهم جزءٌ من المجتمع– يتأثر المجتمع بمايحصل بينهم من خير أو شر، وصرفت طاقات وأفكار وأموال وأوقات في هذا الخلاف،ثمَّ مثلها وأكثر منها لكي يعوَّض هذا الخلل ويرأب الصدع، وأقل ضرره تعطيل سير الدعوة إلى الله والإنتاجية النافعة إلى أن يصطلحا(٢).فجعل الله تعالى الإصلاح بين افراد المجتمع المسلم من مقتضيات التقوى ومن تمام الإيمان وكماله قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [سورة الأنفال:١].

ويظهر أثر الإصلاح بين أفراد المجتمع المسلم في توفير السلام، والأمن، والطمأنينة، والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، ووجود الرحمة والبر

---

(١) صحيح البخاري، باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح: (٢/٩٥٨/ح٢٥٤٧).

(٢) مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم–دراسة موضوعيه، العواجي (ص٨٢) وما بعدها بتصرف يسير.

والتلاحم والأخوة والتسامح بين أفراد المجتمع الواحد، وهي كلها تعتبر من الإصلاح وأثر ذلك في التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي.

ومن مظاهر التعايش السلمي إصلاح المجتمع الإسلامي وما يدعو إليه الإسلام من التعاون والتكافل بين أعضائه، والتوازن بين الحقوق والواجبات في الأحكام التشريعية.

فشريعتنا الغراء تلزم المسلمين أن يَسُود بينهم التعاون والتكافل والتآزر في المشاعر والأحاسيس، فضلاً عن التكافل في الحاجات والماديات، ومن ثَم كانوا بهذا الدين كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، لأن كل فرد في المجتمع المسلم يعد لبنة في بناء المجتمع كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يشعر بمسؤوليته في هذا البناء، وبالأمانة التي حمله إياها رب العالمين ورتب على الوفاء بها وعدا وفلاحا، وعلى الإخلال بمتطلباتها وعيدا وخسرانا، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [سورة التوبة:١٠٥].

فالمسلم حينما يشعر بالمسؤولية والأمانة الملقاة على عاتقه، يكون نافعا لنفسه ومجتمعه، وباذلا كل ما يملكه من جهد في ميدانه ومجال تَخصصه، كل ذلك برفق ولين جانب، وتعايش دائم بين أفراد مجتمعه المسلم، سواء الصغير أو الكبير، أو الغني أو الفقير(١).

المطلب الرابع: الإصلاح بين المجتمع المسلم وغيره وأثره في التعايش السلمي

علاقة المسلمين بغيرهم علاقة تعارف وتعاون وبِرٍّ وعدل؛ فالله سبحانه يقول في التعارف المفضي إلى التعاون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [سورة الحجرات:١٣]، ومن مقتضيات هذه العلاقة: تبادل المصالح والمنافع، وتقوية الصلات الإنسانية، وهذا لا يدخل في النهي عن موالاة الكافرين؛ إذ إنَّ النهي عن موالاة الكافرين يُقصد به النهي عن

(١) التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، د. رشيدة عبد السلام بوخبزة (ص٢٢٤).

محالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين، والرضا بما هم فيه من كفر، إذ إنَّ مناصرة الكافرين على المسلمين فيه ضرر بالغ بالمسلمين، وإضعاف لقوة الجماعة المؤمنة، كما أنَّ الرضا بالكفر كفر يَحظره الإسلام ويمنعه، أما الموالاة بمعنى المسالمة والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصالح، والتعاون على أمور البر؛ فهذا مما دعا إليه الإسلام.

فقد أباح الإسلام زيارتهم وعيادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، ومبادلتهم البيع والشراء، ونحو ذلك من المعاملات فمن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه (١)، وكان بعض الصحابة إذا ذَبح شاة يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي(٢).

فالإسلام جعل العلاقة بن الناس (المسلمين وغيرهم) علاقة أمن وسلام، فاحترام الإنسان وكَرَّمه من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن جنسه ولونه ودينه، ولُغته ووطنه وقوميته ومركزه الاجتماعي؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:٧٠]، وهذا التكريم حقيقة واقعة وأسلوب في الحياة؛ فكفل الإسلام جميع حقوق الانسان، وأوجب حمايتها وصيانتها؛ سواء أكانت حقوقًا دينية، أو مدنية، أو سياسية.

ومن هذه الحقوق: حق الحياة، وحق صيانة المال، وحق حفظ العرض، وحق الحرية، وحق المأوى، وحق التعلم، وكذلك يقرر الإسلام أن من حق

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: (١/٣٠٠/٢٧٢٤).

(٢) "عن مجاهد قال كنت عند عبد الله بن عمرو وغلامه يسلخ شاة فقال يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالجار حتى خشينا أو رؤينا أنه سيورثه" الأدب المفرد، البخاري (١/٥٨/١٢٨).

الجائع أن يُطعم، ومن حق العاري أن يُكسى، والمريض أن يُداوى، والخائف أن يُؤَمَّن؛ دون تفرقة بن لون ولون، أو دين ودين؛ فالكل في هذه الحقوق سواء هذه هي تعاليم الإسلام في تقرير بعض حقوق الإنسان، وهي تعاليم فيها الصلاح والخير لهذه الدنيا جميعها، وأعظم ما فيها أنها سبقت جميع المذاهب التي تحدثت عن حقوق الإنسان، وأن الإسلام جعل هذه التعاليم دينًا يُتقرب به إلى الله، كما يُتقرب بالصلاة وغيرها من العبادات، ولئلا يحصل في هذه الحقوق التي أعطاها الله تعالى للناس جميعًا بغيٌ وظلمٌ؛ شرع الله لذلك ما يضبطها ويحميها ويصلح ما أفسده البرُ منها ولذلك، فإن غير المسلمين قد يلجؤون إلى المسلمين في فضِّ ما يحصل بينهم من فساد وبغي واعتداء، وقد لا يلجؤون لذلك، فتزيد الفتنة فيا بينهم؛ فيحصل هرج ومرج في المجتمع، وينتج عن ذلك فسادٌ كبيرٌ في المجتمع كله الذي ربَّما يكون المسلمون فيه هم الأكثرية؟

ويمكن أن نختصر أهمية الإصلاح بين المسلمين وغيرهم في النقاط التالية:

١- **أنَّ الإصلاح بين غير المسلمين سببٌ في نشاط الدعوة إلى الله تعالى،** فالإسلام يحتاج إلى عملٍ، ويحتاج لجهد كل مسلم؛ لكي يُتِمَّ الله هذا الأمر، وإذا حصل خلافٌ أو خصومة بين مستهدفي الدعوة من غير المسلمين ترتب على ذلك تعطيل السر في الدعوة إلى الله، إلَّى أن يصطلح الخصوم؛ فالمجتمع الذي تسود فيه البغضاء والكراهية والمقاتلة لن تنمو فيه الدعوة؛ فالدعوة الإسلامية تحتاج لجوٍّ هادئٍ مسالمٍ، ولذا انتشر الإسلام بعد صُلح الحديبية انتشارًا واسعًا.

٢- **تنمية حركة الاستخلاف في الأرض في الإصلاح؛** فإنَّ وجود خصومة بين أفراد المجتمع وغير المسلمين جزء من المجتمع - يؤدي إلى ضعف حركة الاستخلاف في الأرض، وإعمارها؛ فتُصرف طاقاتٌ وأفكارٌ وأموالٌ وأوقاتٌ وأمورٌ كثرةٌ؛ لكي تعوض هذا النقص، فأُمَّة الإسلام أُمَّةٌ رائدةٌ وقائدةٌ لغيرها

من الأُمَم في الخير والبر والمعروف، ومِن ثَمَّ فهي أجدر بأن تكون مُصلِحةً دافِعةً للشرور ومطفئةً للحروب.

٣- **وفي الإصلاح درءٌ لما يحصل في الخصومات والمشادات من الأضرار العظيمة؛** من سفك الدماء، وذهاب الحقوق، وكثرة العداوات والإساءة والإيذاء واستسهالها، وهذه كلها من الأمور التي نهى الإسلام عنها وحث المسلمين على أن يزيلوها، ويُحلوا محلها العدل والسلام قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [سورة المائدة:٨].

٤- **الإصلاح بين غير المسلمين يدخل في باب المسارعة في الخيرات،** قال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ [سورة المائدة:٤٨].فقد ذكر الله تعالى المسابقة في الخيرات بعد الأمر بالحكم بين أهل الكتاب، وفي ذلك إشارة إلى أن ذلك من المسارعة في الخيرات(١).

وقد بين عليه الصلاة والسلام للعالمين بسنته العملية كيف يكون التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في بلاد الإسلام؛ ذلك أنه لما هاجر إلى المدينة المنورة، وجد فيها أتباعه من المسلمين، إضافة إلى بعض المشركين العرب، وقبائل يهودية، فأقام حلفاً مبنياً على التكافؤ والعدالة بين المسلمين واليهود، فلم يطرد اليهود من المدينة، وإنَّا اعترف بدينهم، وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم، ولَ يتعرض لها بإهانة أو احتقار، بل كان يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وعندما حارب النبي صلى الله عليه وسلم اليهود، لَم يحاربهم بسبب الاختلاف معهم في الدين، وإنَّا كان سبب الحرب معهم هو

(١) الإصلاح بين غير المسلمين في آي الكتاب المبين، د. العواجي (ص٤٠)

نقضهم للمعاهدات التي كانت بينهم وبين المسلمين، إضافة إلى سعيهم الدائم لتأليب العرب والمشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة الإسلام، فالحرب كانت دفاعية وقائية بالدرجة الأولى، ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية وبخاصة في نجران، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن أقام معهم المعاهدات التي تؤمن لهم حرية المعتقد، وممِارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم(١).

فلقد جاء في معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأرضهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته"(٢).

(١) التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، رشيدة عبد السلام (ص٢٢٦)

(٢) دلائل النبوة، البيهقي (٣٨٩/٥)

المبحث الثاني: ثمرات الإصلاح وأثره في التعايش السلمي.

المطلب الأول: صفات المصلحين في ضوء القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم ملئ بالنماذج الحيّة التي تمثل أنموذج الشخصية الإصلاحية من الأنبياء والمصلحين الذين جعلهم القرآن بمثابة مؤسسة علمية كبيرة تعطي الضوء على كل ما يحتاجه المصلح في ميدان اصلاحه، كل في ميدانه.

ومن خلال السماع إلى قصص المصلحين في القرآن الكريم ندرك أهمية هذه الصفات ونتطلع على جملة صفات، وهذه الصفات شروط في تحقيق الإصلاح العام، لمن أراده، **ومن أهم هذه الصفات:**

١- **وضوح النيّة وإخلاصها:** بمعنى أن يخلص الذي يريد الإصلاح النية لله فلا يبتغي بإصلاحه مالا أو جاها أو رياء أو سمعة إنما يقصد بعمله وجه الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان:٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٠٩]، فكانت نياتهم في تغيير الواقع لله تعالى فقط، وكل يعقب على نيته بلسانه الخاص، فعند ما قاوموا الإفساد بكل أنواعه، قد بينوا نياتهم، لذا وقع أجرهم على الله ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٠].

٢- **الاستعانة بالله والتوكل عليه، والثقة والصبر واليقين:** لكل من هذه الكلمات معاني ذات أهمية، فهي مقومات لبناء النفس والأمم، ولم يأت نبي ولا مصلح إلاّ زود بهذه المقومات لأداء رسالته الإصلاحية، فاذا لم يتحلى المصلح بهذه العناصر فليس بإمكانه أن يجتاز المرحلة، بل المراحل منصوراً، فلسان كل مصلح في القرآن ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [سورة هود:٨٨]، فعلى المصلح بين الناس أن يلتزم الاستعانة بالله عز وجل

والتوجه إليه بالدعاء، فالمصلح لن يستطيع أن يصل إلى الحق والصواب إلا إذا التجأ إلى الله، وسأل الله عز وجل التوفيق، وأن يجري الحق على لسانه.

٣- **الاستعداد وطول النفس وعدم اليأس:** كان للمصلحين استعدادات كما هو بيّن في القرآن الكريم، وفي جميع المستويات، لكل عبئ في الطريق، وهم يوجهون نحو إنقاذ الأمة ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [سورة غافر:٤١]، ونجاة الأمم شيء عظيم، وبناية ضخمة لابد لها من أساس عظيم، بدءً من الاستعداد النفسي لبذل الروح وقطرة الدم عند الحاجة، فليست الدعوة جمعية خيرية تقنع بالقليل، والاستعداد للتعب اليومي، فيجب على المصلح الاستعداد والتمتع بالصبر وعدم اليأس، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [سورة العنكبوت:١٤] يدعوهم للصلح مع الله تعالى وإصلاح شأنهم الديني والدنيوي، فصبر كل هذه المدة لم يدخل في قلبه اليأس.

٤- **العلم والحكمة:** لقد وصف الله نفسه عند الحديث عن خيرية الإصلاح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النساء:٣٥] فالمقصود أن يكون المنهج الذي يتبعه الذي يريد الإصلاح مبنيا على علم شرعي، وحبذا أن يشاور العلماء وأهل الخبرة في ذلك وأن يدرس القضية من جميع جوانبها، وأن يسمع كلام كل واحد منهما.

قال ابن القيم رحمه الله: "فيجب أن يكون المصلح عالمًا بالوقائع عارفًا بالواجب، قاصدًا للعدل فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم"(١). فيجب على المصلح أن يعلم أن الخلافات كثيرا ما تخفى أسبابها الحقيقية، وإن

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية (١/١٠٩)

لم يدركها المصلح، فإنه كمن يحرث في الماء أو من يريد أن يطير بغير جناحين في الهواء.

٥- **العدل:** وعلى المصلح أيضًا أن يتحرّى العدل وليحذر كل الحذر من الظلم، قال تعالى ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات:٩]، وقد بوب البخاري في كتاب الصلح باب: "إذا اصطلحوا على صلحِ جورٍ فالصلح مردود"، وذكر تحته حديث: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ" (١)

٦- **علو الهمة مع اللطف والألفة:** تندرج هذا تحت ما يسمى بالطاقة الأخلاقية، فالهمّة العالية هي التي تصل إلى الهدف المرجو، وبدونها يستحيل تحقيق الغايات، والألفة من أبرز معالم الخلق الحسن ومن أنصح ثمارها، ومن أبرز خصائص الشخص المؤثر الجذاب، اللطف والخلق الرفيع، ولاشك ان الشخص السيئ الخلق فرد منفرد إلى أبعد الحدود ، وليس من سمات الصالحين فضلاً عن أن يكونوا مصلحين، ومن هنا فقد أكدت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أهمية التزام بالسلوك الحسن، وعلى تجنب السلوك والتصرف المنفّر، فجاء هذا التحذير الواضح قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [سورة فصلت:٣٤].

وفي ختام هذه الصفات نقول: إن الله تعالى قد جمع في نبيه صالح عليه السلام صفات المصلح المهمة، فذكر سبحانه مقولته لقومه لما أنكروا دعوته:

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢/٩٥٩/ح٢٥٥٠)

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود:٨٨]، فموافقة القول العمل، وحسن النية، والاجتهاد، والتوكل على الله، والإنابة إليه؛ كل هذه من صفات المصلح التي يجب أن يتحلى بها لكي يتحقق الهدف من الإصلاح" (١).

إن مهمة الإصلاح ليست مهمة الأنبياء والرسل والدعاة فقط بل مهمة كل مسلم غيور على دينه ووطنه، فأهل الفساد يبذلون ليل نهار من مال ووقت وجهد للنيل من الإسلام والمسلمين، فحري بأهل الصلاح أن يبذلوا ما في وسعهم من طاقة، لإصلاح ما أفسده الآخرون والأمر لا يحتاج شهادات ولا بلاغة في القول ولا فصاحة في اللسان، وإنما يحتاج إلي غيره وإيمان، وعزيمة صادقة، وإرادة قوية.

المطلب الثاني: ثمرات الإصلاح وأثره في التعايش السلمي:

لكل عمل ثماره ولكل جهدٍ أجره، ولكل فضلٍ فضلهُ، وكذلك الإصلاح بين المسلمين، فكما فيه الفضل ففيه الأجر وفيه الثمرة الطيبة في الدنيا والآخرة، ويمكن أن

نجمل تلك الثمار في النقاط التالية:

١- **حصول الأجر العظيم** من الله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء:١١٤]، فأخبر جل ثناؤه بما وعد به من قام بالإصلاح بين الناس بقوله: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ أي: "ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر، أو يصلح بين الناس ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: طلب رضى الله بفعله ذلك ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا

(١) الإصلاح بين المسلمين دراسة موضوعيه، د. العواجي (ص١٦٨)

عَظِيمًا﴾ يقول: فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك أجرًا عظيمًا، ولا حدَّ لمبلغ ما سمى الله عظيمًا يعلمه سواه"(١)

٢- **الإصلاح بين الناس صدقة:** فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقه"(٢) أي: تصلح.

٣- **تحقق رحمة الله تعالى بالمصلحين،** قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [سورة الحجرات:٩-١٠].

هنا يخاطب الله تعالى المؤمنين بأن "خافوا الله بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه، واجتناب معاصيه، ليرحمكم ربكم، فيصفح عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه، واتبعتم أمره ونهيه، واتقيتموه بطاعته"(٣)، "وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين وشأن تعامل الإخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها"(٤)

٤- **يحقق الاعتصام بحبل الله** وعدم التفرق: كما أمر الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ

(١) جامع البيان، الطبري (٤٨٢/٧)

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الصلح بين الناس والعدل بينهم (٩٦٤/٢/ح٢٥٦٠)

(٣) جامع البيان، الطبري (٣٦٤/٢١)

(٤) التحرير والتوير،٢٤٥/٢٦)

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، قال الطيبي: "الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمه في الدين"(١).

٥- **الإحساس بمعنى الجسد الواحد:** قال صلى الله عليه وسلم "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(٢).

٦- **تحقيق الإيمان الكامل بالله تعالى** للمصلحين: قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [سورة الأنفال:١] فإن كمال الإيمان يدور على تلك الخصال الثلاث: الاتقاء والإصلاح وإطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"(٣).

٧- **تحقيق ما يرضي الله تعالى** وما يندب إليه، وتحقيق مقاصد الشريعة: قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [سورة النساء:١٢٨] فالله سبحانه يريد الصلح ويحث علي، ويأمر به.وتتحقق الخيرية للمصلح والمصلح بينهما والأمة جميعًا، **فالصلح خير؛ لأنه:**

١. يُحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية.
٢. يغرس في نفوس المتخاصمين والمتنازعان فضيلة العفو وتذكر الجميل.
٣. يثمر حياة مطمئنَّة طيّبة يحفُّها التسامح والرضا والصبر والأخوَّة الإسلامي.
٤. يوفر الطاقات العقلية والذهنية والمالية، التي تُهدر طاقاتهم وطاقات المصلحين بينهم، سواء كانت هذه الطاقات ذهنية أو وقتية أو في التفكير والتعب النفسي، أو المالية أو غيرها.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم أبادي (١٣/١٧)
(٢) صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/١٩٩٩/ح٢٥٨٦)
(٣) روح المعاني، الألوسي (٩/١٦٥)

٥. يبعد عن وعيد الله بالوقوع فيما حرم الله من الكلام والأفعال بسبب الخلاف قال تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [سورة محمد:٢].

أي: حالهم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

"عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا" (١) .

إن الإصلاح بين الناس كما جاء به القرآن الكريم يقوم على أهداف وأسس، وقيم عظيمة، تهدف إلى حفظ الأمن والاستقرار للأفراد والمجتمعات، وفق ضوابط قائمة على البر والتقوى، والرحمة والإحسان، ومن أهم هذه الأهداف أثره في التعايش السلمي.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا وإياكم من الصالحين المصلحين، مفاتيح للخير، مغاليق للشر.

(١) معالم التنزيل، البغوي (٢٧٧/٧) نقلا من بحث الإصلاح بين المسلمين في القرآن الكريم-دراسة موضوعيه للدكتور محمد العواجي(ص١٤٧)

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

من خلال هذه الجولة في هدايات القرآن الكريم في الإصلاح وأثره في التعايش السلمي يمكن أن نخرج بما يلي:

١-مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم ضد الفساد، وتصويب ما أعوج.

٢-إصلاح القرآن الكريم الأسرة من جميع الجوانب ، اهتم باستقامة الزوج والأب لأنهما مدعاة لصلاح أهلهما وأسرتهما ودور الأم والزوجة، والأبن الصالح أيضاً والأهل المحيطون ودورهم في الإصلاح.

٣-إن الإسلام هو الوعاء الأصلح لتعايش البشر بأختلاف الوانهم وثقافاتهم وأديانهم.

٤-وسائل إصلاح النفس مبثوثة في القرآن الكريم لمن أراد إصلاح نفسه ونجاتها.

٥-ضرورة الإصلاح بين المسلمين في جميع جوانب حياتهم المختلفة، للوقاية من الوقوع في الفساد.

٦-أن الإصلاح بين المسلمين علامة من علامات نجاح الأمة، وتوحد المسلمين مع بعضهم والإحساس بالجسد الواحد.

٧-أن الأساس الذي بنى عليه الإسلام علاقة المسلم مع غير المسلم في الأحوال كلها هو مكارم الأخلاق.

التوصيات

- **التركيز على النصوص القرآنية** الداعية إلى الإصلاح والناطقة بسياسة التعايش السلمي مع الآخر في المناهج التعليمية.

- **تنظيم دورات في تهذيب النفس** وإصلاح بيت الأسرة والمجتمع المسلم وغيره، لرفع مستوى الوعي بهذا الأمر، واستنهاض الهمم للإصلاح.

وفي الختام: فهذا البحث جهد المقل وعمل البشر الذي لا يخلو من النقص في كل جانب، وحسبي أني قد اجتهدت وبذلت، فما كان فيه من الصواب فمن توفيق الله وجوده وكرمه، وما كان فيه من خطأ فمن تقصيري ونسياني.

والشكر والعرفان بالجميل للدكتور محمد عبد العزيز العواجي، الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية في المدينة المنورة على تشجيعه لي في المشاركة بهذا المؤتمر ومتابعته الجادة، وتوجيهه المستمر، فلقد استفدت منه كثيراً، ولا أستطيع أن أجزيه شكراً، فعبارات الشكر اتعبتني في ترتيبها وصياغتها، وأَحْرُفي أصبحت عاجزةً أمام فضله عليَّ، فاللهم بارك له في وقته وماله وولده، واجزه عني خيرَ ما تجزى به عبادك الصالحون.

وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٢- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائدمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ

٣- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٤- الاصلاح بين المسلمين في القران الكريم دراسة موضوعية، أ.د محمد عبد العزيز العواجي، دار النشر: المؤلف، تاريخ النشر: ١٤٤٢-٢٠٢١.

٥- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ

٦- التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، د. رشيدة عبد السلام بوخبزة، جامعة محمد الخامس، ١٤٣٩-٢٠١٨م

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

٨- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٩- الخطاب الإصلاحي في المغرب، عبد الإله بلقزيز، دار المنتخب، بيروت.

١٠- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

١١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ

١٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ

١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٢٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٢٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان

جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م